

دعاة تيسير النحو العربي المعاصرون " موقف نقد النحو العربي وتيسيره أمثودجا".

advocates of the facilitation of Arabic grammar contemporary " the position of criticism of Arabic grammar and its facilitation as a model"

امبارك نورالدين¹

¹ جامعة البليدة 02 لونيسي علي (الجزائر)، ee.nouredine@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/11 تاريخ القبول: 2022/03/19 تاريخ النشر: 2022/12/15

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التطرق لموقف نقد النحو العربي وتجديده، الذي اعتمد المنهج الوصفي ونظرياته في دراسة ونقد قضايا النحو العربي، كما تناولت في دراستي قضية تقديم العامل والقياس وعلامات الإعراب والجملة العربية، وبعضاً من النقد الذي قدمه كل من د. حلمي خليل و د. منصور بن عبد العزيز الغفيلي من خلال نماذج من كتابات دعاة تيسير النحو العربي وتجديده.

كلمات مفتاحية: النحو العربي؛ موقف نقد النحو العربي؛ المنهج الوصفي؛

Abstract:

This study aims to address the position of criticism of Arabic grammar and its renewal, which adopted the descriptive approach and its theories in the study and criticism of issues of Arabic grammar, I have also covered in my studies the issues of their criticism of government and the analogy and sings of expression and the Arabic sentence, and some of the criticism provided Dr. Helmy Khalil and Dr. Mansour bin Abdul Aziz Al-Ghafili through models of the writings of advocates of facilitating renewing Arabic grammar.

Keywords: Arabic Grammar; Arabic Grammar Criticism Position; Descriptive Approach;

المؤلف المرسل: امبارك نورالدين، الإيميل: nouredinen1993@gmail.com

1. مقدمة:

قد كان لظهور اللسانيات الغربية الحديثة أثر واضح في تغيير مسار الدراسات اللغوية سواء عند الغرب أو عند العرب الذين تأثروا بهذا العلم الوافد والحدث اللساني الجديد، مما فتح على اللسانيين العرب الباب لولوج هذا العلم والأخذ بمناهجه ونظرياته في دراسة اللغة وقضاياها، حيث كان الاتصال الفعلي بهذه المناهج والنظريات إبان النهضة العربية التي بدأها "رفاعة الطهطاوي وجورجي زيدان وإبراهيم مصطفى" ومن تبعهم من العائدين من الجامعات الغربية آنذاك أمثال "إبراهيم أنيس وتمام حسان وكمال بشر وعبد الرحمان أيوب وغيرهم كثير ممن أخذوا بهذا العلم اللساني الجديد وقدموا محاولات رائدة في تناول دراسة اللغة العربية وإعادة قراءتها وفق منظور لساني جديد قائم على مفاهيم ومناهج اللسانيات التي جاءت قبل دوسوسير وبعده وخاصة المنهج الوصفي البنيوي الذي غير رؤية المناهج اللسانية التقليدية في دراسة اللغة ومستوياتها وقضاياها، وكما هو معلوم ومسطور في كتب اللسانيات العربية نجد أنّ هناك كثيرا من اللسانيين العرب المحدثين ممن تأثروا بهذا المنهج اللساني القائم على الوصفية والموضوعية والعلمية لدراسة أيّ لغة ما، إذ جعل بعضهم "يوجهون سهام نقدهم إلى النحو والصرف والمعجم باسم علم اللسانيات، فثار معظمهم على نظرية العامل والعلل والإعلال والإبدال والصناعة المعجمية التقليدية، وهذا الأمر يمكن أن نتبينه بوضوح في الأعمال الأولى لإبراهيم أنيس وتمام حسان ومهدي المخزومي وعبد الرحمان أيوب وكمال بشر وأنيس فرجة... وغيرهم" (إسلام، حليم، 2021، ص519)، وقد كانت أعمال هؤلاء الرّواد من اللسانيين العرب وخطاباتهم تقوم على ثلاثة اتجاهات بحسب ما ذهب إليه "مصطفى غلفان" وهي: "اتجاه بنيوي وصفي، واتجاه توليدي تحويلي، واتجاه تداولي وظيفي" (مصطفى، 1998، ص172).

وفي ظل هذا التأثير بالمناهج اللسانية الغربية الحديثة في العالم العربي فقد ظهر صنف من اللسانيين الذين انتهجوا الاتجاه البنيوي الوصفي في دراسة اللغة العربية والنحو العربي ورأوا أنّه هو الأنسب لإعادة قراءة الموروث اللغوي العربي القديم، كما قدموا كثيرا من النقد تجاه التراث النحوي العربي في شتى القضايا التي رأوا أنّها تشكل تعقيدا وصعوبة في دراسة وتعلم النحو العربي وعلومه، مما جعلهم يدعون إلى تيسير النحو العربي وتجديده ونقده، إذ كانت هذه البداية مع "إبراهيم مصطفى" الذي بدأه في أول كتاب له

(وهو إحياء النحو)، ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أقدم في بحثي هذا موقف نقد النحو العربي وتيسيره، منطلقا من التساؤل الآتي: ما هي رؤيتهم تجاه التراث اللغوي العربي وموقفهم منه؟ كيف نقد اللسانيون العرب النحو العربي وقضاياها اعتمادا على المنهج الوصفي؟.

وكما تهدف هذه الدراسة إلى بيان ومعرفة مواقف اللسانيين والباحثين العرب تجاه الدرس اللساني الحديث، و رؤيتهم للتراث اللغوي العربي وخاصة ما تعلق بالنحو العربي وقضاياها التي شكلت نقطة أساسية عند دعاة تيسير النحو العربي وتحديدده، كما تبحث في معرفة أهم القضايا التي رأوها تشكل تعقيدا فيه، والتي نقدوها ودعوا إلى تبسيطها وإصلاحها في دراساتهم للنحو العربي ونقده.

2. مواقف اللسانيين العرب تجاه التراث اللغوي العربي:

قد كانت البدايات الأولى لولوج اللسانيات الحديثة إلى الدرس اللساني العربي -إبان عصر النهضة- مع "رفاعة الطهطاوي وجورجي زيدان" وغيرهم ممن تأثروا بالمناهج اللسانية التقليدية المتمثلة في "المنهج التاريخي والمقارن" وأيضا بمجيء طلاب البعثات الأوربية التي وفدت من الجامعات الأوربية ودرست علومهم على كبار اللسانين الغربيين في العصر الحديث، وهؤلاء الرواد يعدّون من الجيل الأول الذين أدخلوا هذه المناهج ونظرياتها في الثقافة العربية وكما حاولوا تطبيقها على اللغة العربية وتناول قضاياها، غير أنّ هذا الوافد الجديد في الدرس اللساني العربي تلقى عدّة مواقف متباينة "... حيث كان الموقف الثائر على الموارد يقدم الدراسات الغربية الحديثة [بديلا]، ويقدم [تعريفا] بمناهجها ومؤلفاتها، ويطلق على هذا النوع من المؤلفات (الكتابات التمهيدية)، أما موقف التراث فإنه يتبنى آراء التراث العربي، ويعمل على إعادة قراءته، ويطلق على هذا النوع من المؤلفات اسم: (لسانيات التراث)، وموقف التوفيق يحاول دراسة اللغة العربية من خلال تطبيق مناهج حديثة، ويطلق على هذا النوع من المؤلفات اسم: (لسانيات عربية) كونهم ينطلقون من التراث ويطعمونه بمناهج ونظريات لسانية حديثة، كما يحاولون تطبيق المناهج الغربية الحديثة على نماذج عربية..." (إسلام، حلیم، 2021، ص 512، 513)، وهذه المواقف التي ظهرت كانت نتيجة التأثير باللسانيات الحديثة وإدخالها في الدراسة اللسانية العربية، حيث جاءت الكتابات اللسانية وخطاباتها

قائمة على هذه الاتجاهات، إلا أنّ هاته الاتجاهات ومواقفها من التراث اللغوي العربي عكست في رؤيتها للتراث اللغوي العربي — بحسب ما ذهب إليه "مصطفى غلفان" — ثلاثة تيارات إذ يقول: "... نلاحظ تباين مواقف اللغويين العرب بشأن أثر التراث اللغوي العربي القديم ومكانته في تاريخ اللسانيات وقيمة تصوراتهم مقارنة بالنظريات التي عرفت، وفي محاولة تطبيق مبادئها ونظرياتها على اللغة العربية..." (مصطفى، 2020، ص 248)، ويلخص "مصطفى غلفان" هذه المواقف من التراث اللغوي كالآتي:

أ. موقف مشيد بالتصورات الواردة في التراث اللغوي العربي القديم نحو كان أو معجما أو لغة، حيث يرى أصحاب هذا الموقف أنه لا فرق بين ما جاء به النحو العربي القديم وما تقدّمه اللسانيات الغربية من مفاهيم ونظريات جديدة، وأنّ الحداثة اللسانية الجديدة في نظرهم غير منفصلة عن التراث.

ب. موقف نقد النحو العربي وهذا الموقف عبّر عنه جيل كثير من اللسانيين العرب ابتداء من النصف الثاني من القرن العشرين، حيث تمثل في أعمال كلّ من "تمام حسان 1918، 2011، وإبراهيم أنيس 1906، 1977، وعبد الرحمان أيوب الذي توفي سنة 2013، وأنيس فريجة 1903، 1993، وريمون الطحان وإبراهيم السامرائي 1922، 2001، إذ انتقد هؤلاء أسس النحو العربي وما تعلق به من قياس وعامل وتقدير وعلة وغيره، في ضوء اللسانيات الوصفية التي كانت تمارس في أوروبا وأمريكا، كما نقد النحو العربي أيضا من طرف المشتغلين بالنظرية اللسانية في النحو التوليدي والذي يمثلها الفاسي الفهري.

ج. موقف التوفيق بين تصورات الفكر اللغوي العربي القديم، واللسانيات الحديثة، وهذا الموقف يمثل أصحاب إعادة قراءة التراث الذين ينطلقون من النظريات اللسانية الحديثة قصد فهم التراث فهما يساير التطورات والإنجازات التي حققتها اللسانيات المعاصرة، وهذا الموقف هو الأكثر حضورا في الدرس اللساني العربي كما يسعى هؤلاء لإبراز ريادة التراث اللغوي العربي وأسبقيته المعرفية والتاريخية عن اللسانيات، ويتضح هذا الموقف جليا في أعمال: عبد الرحمان الحاج صالح، وعبد الرّاجحي، وعبد السلام المسدي، ونهاد الموسى، ومُجدّ عيد وغيرهم كثير" (مصطفى، 2020، ص 248، 249).

ومن هذه المواقف التي بينها "مصطفى غلفان" نجد أنّ الموقف الثاني والمتمثل في نقد النحو العربي، قد انتهج في دراسته للعربية ونحوها منهج اللسانيين الوصفيين، إذ يؤكد حلمي خليل أنّ الجيل الذي أتى بعد عبد الواحد وافي وإبراهيم أنيس هو الجيل الذي يرجع له الفضل في "... تعميق هذه البداية وبلورتها، بل ووضع أصول علم اللغة البنيوي وضعاً علمياً، إلى جيل أتى بعد هؤلاء الرواد بعضهم كان تلميذاً لهم، وبعضهم تلمذ على كتبهم، وهذا الجيل يمكن أن نصفه بجيل الوصفيين العرب..." (خليل، 1996م، ص166)، فهذا الجيل الذي وصفه حلمي خليل بأنّه جيل الوصفيين العرب نجده قد اختلف بحسب تقديمه لعلم اللغة للباحث العربي - سواء في كتاباتهم أو في تناولهم للقضايا اللغوية العربية - في ثلاثة تيارات هي:

1- الوصفية ونقد التراث اللغوي العربي.

2 - التحليل البنيوي للغة.

3 - تطبيق النظرية اللغوية الحديثة على اللغة العربية" (خليل، 1996م، ص167).

3. الوصفيون ونقد التراث اللغوي العربي (النحو العربي).

لقد اعتمد اللسانيون العرب المنهج الوصفي في نقد النحو العربي والدعوة إلى تيسيره، حيث رأى أصحاب هذا الاتجاه من المنهج الوصفي (نتاج الفكر اللغوي الغربي) أفضل سبيل يخلصنا من شوائب المنطق والفلسفة التي علقت بالنحو العربي، مما أدى إلى تعقيده، والبديل عند هؤلاء يكون بإلغاء بعض مسائل النحو العربي التي أثقلت كاهله بحسب زعمهم فتأروا على نظرية العامل والتأويل والقياس باعتبارها نتاج تفكير فلسفي في اللغة..." (أسماء، 2017، ص53)، حيث رأى هؤلاء الرواد من اللسانيين أنّ النحو العربي كان في صورة معقدة وشائكة وأنه لا بد النظر في إعادة طرح هذه القضايا وفق المنهج الوصفي، ويرى حلمي خليل أنّ هذا الاتجاه يمثل صدق تمثيل كلّ من "الدكتور عبد الرحمن أيوب، والدكتور تمام حسان، فقد صدر كتابان في عامين متتالين، الأول هو «دراسات نقدية في النحو العربي» (1957) للدكتور أيوب، والثاني هو «اللغة بين المعيارية والوصفية» (1958) للدكتور تمام حسان" (خليل، 1996م، ص167)، وهؤلاء وغيرهم من اللسانيين الذين اعتمدوا المنهج الوصفي قد "

...قدموا كتباً تيسيرية في النحو العربي، كما قدموا كذلك كتباً تناولوا فيها المنهج الذي قامت عليه النظرية النحوية التراثية فانتقدوه وقدموا احتجاجات عدة حول جملة من القضايا التي رأوا فيها السبب المباشر في تعقيد النحو وجمود اللغة العربية، لأن النحاة القدامى كانوا حسب رأيهم قد قيدوها ورموا بها في قفص ضيق الحدود... فنظروا وخلصوا إلى ضرورة الاعتماد على الوصف أولاً وآخراً" (الطيب، 2019، 2018م، ص130)، وعليه فإن اعتمادهم المنهج الوصفي في دراسة النحو العربي يجعل النحو القديم مجرداً من التعليل، وقد كان من أهم القضايا التي انتقدها هؤلاء اللسانيون الوصفيون العرب على النحو العربي القديم -بحسب ما قدمه محمد مجاهد داود- تتلخص فيما يلي:

(1) افتقاد النحو التقليدي للمنهج العلمي الموضوعي الذي يعتمد على درس الأشكال اللغوية باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها ووصفها من خلال قوانين العلاقات، كما هو الحال في النحو الوصفي في إطار علم اللغة الحديث، وإنما يعتمد النحو التقليدي على المنهج الذاتي الذي يحدد قواعد اللغة بناءً على فهم المعنى، وبذلك يربط بالدارس نفسه، وليس بظواهر اللغة.

(2) تأثر النحو التقليدي بالمنطق، وأكبر مظهر من مظاهر هذا التأثير اهتمام التفكير النحوي القديم بنظرية العامل، التي يمكن من خلالها معرفة العلة الكامنة وراء الظواهر النحوية، فجعل اللغة عقلاً يفسر الظواهر والقواعد النحوية من خلاله، في حين أن النحو الوصفي - في إطار علم اللغة الحديث - يهتم بتقرير الحقائق اللغوية ويفسرها في إطار ظواهر اللغة نفسها دون فرض القواعد أو اللجوء إلى ظواهر لغوية لتعليل القاعدة.

(3) تداخل مستويات التحليل اللغوي في النحو التقليدي (الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي)، في حين يميز النحو الوصفي بين مستويات التحليل اللغوي فحدد لكل مستوى أساساً واضحة تميزه، مع عدم إهمال العلاقة التي تربط بين مستويات التحليل اللغوي.

(4) قيام النحو التقليدي على أساس معياري، حيث لم يميز بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وأقام القواعد على نصوص مختارة من اللغة المكتوبة فقط، وحينما يصطدم مع الواقع والاستعمال اللغوي فإنه يلجأ إلى

التأويل وتقديم تفسيرات فيها تكلف كي تتلاءم الظواهر اللغوية مع قواعده المعيارية" (داود، 2001، ص 169، 170).

ونلحظ من خلال هذه الانتقادات للنحو العربي من طرف اللسانيين العرب المعتمدين المنهج الوصفي على أنهم طبقوا مفاهيم اللسانيات الحديثة بمنهجها الوصفي على النحو العربي معتبرين أنه يفتقر للعلمية والموضوعية باعتماده المعنى في تحديد القواعد بخلاف المنهج الوصفي كما أن النحو التقليدي في نظرهم درس مجملا في مستوياته ولم تكن مفصلة على حدة، بعكس اللسانيات الوصفية التي فرقت بين المستويات وأقامت لها علوما تدرسها وتحدد ماهيتها وقوانينها، وأيضا نقدهم لنظرية العامل باعتبارها تأثرا بالمنطق والفلسفة بينما اللسانيات الوصفية مهمتها رصد ظاهرة اللغة كما هي دون فرض قاعدة ما وهنا كأنهم يشيرون إلى مفهوم المعيارية في النحو العربي القديم، وهذا ما كان من انتقاد لها؛ أي المعيارية في قضية التأويل، وكل هذه الانتقادات التي قدمها محمد داود موجودة في مؤلفاتهم.

3. 1. نقد منهج النحو العربي القديم.

قد حفلت كثير من الكتب اللسانية العربية بآراء ومقولات لسانيين عرب كبار ممن نقدوا منهج النحو العربي وقضاياه، بدءا من إبراهيم مصطفى ومن تبعه في هذا الاتجاه من الذين تأثروا بالمنهج اللساني الوصفي في دراسة قضايا اللغة العربية ونحوها، ومن المقولات التي نقد بها النحو العربي ما جاء على لسان د. عبد الرحمن أيوب الذي نظر إلى النحو العربي بأنه عبارة عن اجترار عقلي لا منفعة فيه ولا يتلاءم والعصر الذي يعيش فيه، وهذا بقوله: "ولكني رأيت حين عهد إلي بتدريس النحو العربي بدار العلوم، أن في مجرد تفسير عبارات النحاة نوعا من الاجترار العقلي لا يليق بعصرنا الذي نعيش فيه ولا بنهضتنا العقلية في هذا الدور الحاسم من أدوار الثقافة العربية" (أيوب، د ت، ص د)، وبينما عند د. إبراهيم أنيس فإنه عدّ المسائل اللغوية عبارة عن مشاكل تحتاج لعمق الدراسة والتحليل وخاصة ما تعلق بالإعراب ولا بدّ من "...علاج تلك المشاكل علما حديثا بعيدا عن الجدل العقيم، ومؤسسا على أحدث النظريات التي اهتدى إليها المحدثون في الدراسات اللغوية... ولا سيما الفصل الخاص بقصة الإعراب..." (أنيس،

1966، ص 5، 6)، وقد نقد كذلك د. مهدي المخزومي ما ورد من مصطلحات نحوية استعملها كل من سيبويه والخليل مشيراً إلى أنها ليست من اللغة وأنها جعلت النحو ينحرف عن غايته وجعلته غريباً ليس فيه من سمات الدرس اللغوي سوى مظهره وشكله، ومعتبراً إيّاه أنه جدل عقلي إذ يقول: "...فترخصوا في استخدام مصطلحات ليست من اللغة في شيء، كالعامل والمعمول، والناصب والجازم والجار وغيرها... من هنا أخذ النحو ينحرف عن طريقه. وبدأ شيئاً فشيئاً إلى درس ملفق غريب، ليس فيه من سمات الدرس اللغوي إلا مظهره وشكله. ودب إلى هذا الدرس جذب أودى بحيويته وقدرته على تأدية وظيفته، وصار درساً في الجدل يعرض النحاة فيه قدرتهم على التحليل العقلي..." (المخزومي، 1406هـ، 1986م، ص 14).

من خلال هذه المقولات التي قدّمها كبار اللسانيين العرب في نقد منهج النحو العربي وأحكامه، ودعوتهم لتيسير وإصلاح قواعد النحو العربي القديم، نجد أنّها قد تتلاقى في غاية واحدة وهي تيسير قواعد النحو العربي وتخليصه ممّا عراه من مشكلات عقلية وأنه يجب الاستفادة من منهج اللسانيات الحديثة لمعالجتها معالجة علمية مسايرة لما توصل إليه اللسانيون الغرب في الدرس اللغوي عندهم، وهذا النقد وغيره يبيّن جلياً مدى تأثير هؤلاء بالدرس اللساني الحديث ونظرياته في تحليله لقضايا اللغة ومستوياتها، ويرجع إلى أنّ القرن العشرين شهد " نشاطاً متميزاً في الدراسات اللغوية، والنحوية في العالم العربي، وبخاصة بعد اتصال كثير من الباحثين العرب بالدراسات اللغوية الغربية الحديثة، ونهج طرق جديدة للتفكير، واستيعاب لهذه المناهج، والإلمام بطرق حديثة في التحليل اللغوي، بحيث أصبح الباحثون المحدثون يصاهرون بين هذه المناهج، وبين التراث اللغوي العربي، ما كان لها الأثر الكبير في تحديد مفهوم النحو بشكل خاص، وفي الدراسات اللغوية العربية الحديثة بشكل عام" (الغفيلي، 1434هـ، 2013م، ص 38)، وقد كان أبرز ما نقده هؤلاء اللسانيون العرب ما تعلق بنظرية العامل وعلامات الإعراب والتقدير والقياس والتأويل وغيره ممّا رأوا أنه تحليل عقلي ليس من اللغة في شيء.

3. نماذج من قضايا نقد النحو العربي.

من الأمور النحوية التي تطرق لها الوصفيون العرب في نقدهم للنحو العربي ودراسته والدعوة إلى تيسيره قضية علامات الإعراب ونظرية العامل والتقدير والعلة والقياس والسماع وغيرها مما نقده اللسانيون الوصفيون العرب، وهذا ما سنحاول أخذه باختصار مركزين على أهم هذه القضايا وكيف تناولوها بالدراسة والتحليل من منظور المنهج الوصفي.

أ. علامات الإعراب ونظرية العامل:

نجد إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو)، قد انتقد علامات الإعراب معتبرا أنها ليس لها معنى في تصوير الكلام ولا في دواله لما وجد موضع خلاف بين النحاة بقوله: " فلو أنّ حركات الإعراب كانت دوالاً على شيء في الكلام، وكان لها أثر في تصوير المعنى، يحسه المتكلم ويدرك ما فيه من الإشارة ومن جهة الدلالة، لما كان الإعراب موضع هذا الخلاف بين النحاة، ولا كان تعلمه بهذه المكانة من الصعوبة، وزواله بتلك المنزلة من السرعة" (مصطفى، دت، ص15)، ومرجعاً سبب تناول النحاة الأوائل لقضية أصل الإعراب بقضية العامل وارتباطه بها وأنّ "«الإعراب أثر يجلبه العامل»، فكل حركة من حركاته، وكل علامة من علاماته، إنما تجيء تبعا لعامل في الجملة... ويطيلون في شرح العامل، حتى تكاد تكون نظرية العامل عندهم هي النحو كله" (مصطفى، دت، ص29)، فهو هنا ينتقد العامل وعلامات الإعراب ومعتبرا هذا النقاش بين النحاة الأوائل تأثرا واضحا بالفلسفة الكلامية، مستدلا بما كان مستعملا عندهم في النحو من مفاهيم تدل على هذا في نظره، إلا أنّه رأى أنّ هذا التأثير ليس عيبا بل هو أمر طبيعي، وإنما النظر يجب أن يكون في ما وفقوا فيه وما لم يوفقوا فيه إذ يقول: " من أجل ذلك نرى طريق النحاة في استخدام فلسفة أيامهم أو استخدامها إياهم أمرا طبيعيا، لا مأخذ فيه، ولا مندوحة عنه لمن أراد أن يفكر. ولكن علينا أن ننظر مبلغ توفيقهم في نظرهم، وإصابتهم للغاية التي سعوا إليها، وهي الكشف عن أحكام الإعراب وأسراره" (مصطفى، دت، ص34)، وقد جعل د. إبراهيم مصطفى لقضية علامات الإعراب والعامل بديلا تمثل في " قرينتي الإسناد والإضافة بديلا للعامل في تفسير حركتي الضم والكسر،

واعتبر الفتحة الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب... "(أسماء، 2017، ص54)، بينما د. إبراهيم أنيس "ذهب إلى أنّ حركات الإعراب ليست عنصرا من عناصر البنية في الكلمات وليست دلائل على المعاني كما يظن النحاة بل في رأيه أن الأصل في كل كلمة هي سكون آخرها وسواء في هذا ما يسمى بالمبنى أو المعرب" (دباس، 2008، ص94)، وهو هنا يشير إلى أنّ الحركات وضعت لوصل الكلمات أثناء التركيب ببعضها البعض، وأنّ الأصل في كل كلمة هو سكون آخرها أي في لام الفعل كآته - حسب اعتقادي - ينفي وجود الحركة في آخر الكلمة، ومرجعا هذا إلى " الأثر الصوتي الناتج عن وصل الألفاظ أثناء عملية النطق" (دباس، 2008، ص94)، ونجد د. مهدي المخزومي في حديثه عن الإعراب أنّ النحاة أوغلوا فيه وأخرجوا النحو من أصله الذي كان ينبغي له أن يكون فيه حيث ربطوا تغير أواخر الكلم بالإعراب والقوة والعامل ممّا جعلهم يسلكون به مسلكا قائما على النشاط العقلي بسبب إرجاعهم أثر الإعراب لفكرة العامل حيث يقول: " ولا ضير في الاهتمام بالإعراب على أنه جانب من جوانب الدرس النحوي لا على أنه النحو كله... وإذا كان النظر العقلي يتلمس طريقه إلى البحث اللغوي حثيثا، ثم ينتهي به الأمر إلى السيطرة على أذهان الدارسين كان الحديث عن الإعراب عند النحاة مظهرا من مظاهر النشاط العقلي، وكان الإعراب عندهم أثرا من آثار العوامل التي اكسبها النظر العقلي مظهر العلة وقوة السبب..." (المخزومي، 1406هـ، 1986م، ص66)

وقد ذهب د. تمام حسان في دراسته للعربية إلى إلغاء نظرية العامل و أتى بما سماه نظرية تظافر القرائن، مستمدا فكرته هذه من قضية التعليق عند الجرجاني، وقد كان ذلك " بعد أن استعرض تناول بعض الدارسين لهذه القضية؛ حيث ذكر أن ابن مضاء القرطبي - في رده على النحاة - لم يستطع أن يأتي بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعاني النحوية - رغم توصله إلى بيان فساد هذه الظواهر السياقية - ؛ كما أنه لم يستبدل العامل بمفهوم آخر، غير اعتبار المتكلم هو العامل..." (معروز، 1437هـ-1438هـ/2016م، 2017م، ص168)، ورأى بأنها هي " الفكرة المركزية في النحو العربي وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل

وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية" (حسان، 1994، ص189)، ونجد د. مهدي المخزومي يصرح في مؤلفه (في النحو العربي نقد وتوجيه) على ضرورة تخليص الدرس النحوي من المنهج الفلسفي ورفضه لفكرة العامل حيث يقول: "...وأن أسلوب العامل النحوي قدرته على العمل... وإذا بطلت فكرة العامل بطل ما كان يبنى عليه من تقديرات متمحلة لم تكن لتكون لولا التمسك بها، وبطل كل ما عقدوا من أبواب أساسها القول بالعامل، كباب التنازع، وباب الاشتغال، ثم بطل ما انتهوا إليه من أحكام، كالقول بالإلغاء والتعليق، والقول بوجوب تأخير الفاعل عن الفعل... إلى غير ذلك من أحكام عقلية لا تنطبق بحال على أصول اللغة" (المخزومي، 1406هـ، 1986م، ص16).

غير أنّ هناك من اللسانيين الوصفيين المحدثين من العرب من انقسموا إلى فريقين حول قضية العامل، حيث كان الفريق الأول من دعا إلى رفض نظرية العامل إطلاقاً دون إيجاد بديل عنها في الدرس النحوي العربي وهم : " عبد المتعال الصعيدي وفؤاد حنا طرزي ومُجد الكسار وعفيف دمشقية وأنيس فريجة... الخ" (البسامي، 1439هـ، 2018م، ص6، 7)، وهؤلاء كلهم ساروا نحو إلغاء نظرية العامل والدعوة إلى تيسير النحو العربي في ظل علم اللغة الحديث باعتماد المنهج الوصفي وهذا ما أقروا به في كتاباتهم ومؤلفاتهم.

أمّا الفريق الثاني الذي رفض نظرية العامل وقدم بديلاً لها — وإن اختلفوا في هذا البديل — فقد رأى ثلة منهم " طرح البديل الوظيفي الدلالي القائم على الإسناد وهم: مهدي المخزومي، وإبراهيم مصطفى، ويوسف كركوش، ومُجد أحمد برانق، ومازن المبارك و خليل أحمد عمايرة وفهمي حجازي ونعمة رحيم العزاوي وعبد الوارث مبروك سعيد، وهؤلاء اقترحوا بديل الدلالة والإسناد في دراسة الجملة والنحو العربي، أما ما تعلق بالبديل الثاني وهو بديل التسكين الذي يقصد به تسكين أواخر الكلمات والمفردات في الجملة، فقد مثله إبراهيم أنيس، أما البديل الثالث وهو بديل المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة اللغة في زمن واحد ومكان واحد دون النظر إلى تاريخها أو تغيراتها عبر العصور، ويمثله كل من عباس حسن ومُجد عيد ونهاد الموسى وعلي زوين، أما البديل الرابع فهو بديل القرائن ويمثله بوضوح تمام حسان في

نظريته تظافر القرائن التي ذكرها في مؤلفاته وكتابات، وقد أخذ بفكرته هذه مُجدّ حماسة عبد اللطيف" (البسامي، 1439هـ، 2018م، ص8-16)

وتوضح الأستاذة " أسماء عبداوي" موقفها من الذين نقدوا النحو وخاصة ما تعلق بالإعراب ونظرية العامل على أنّها "... استطاعت أن تصنع لنفسها مركزية في الفضاء العلمي، وها هي الادعاءات تبطل أمامها الواحدة تلوى الأخرى، بل ومنعت جذور هذه النظرية من حلول أي بديل مكانها، وهو أمر يثبتته واقع العربية التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تستغني عن نظرية العامل" (أسماء، 2017، ص61)، وفي حقيقة الأمر أنّ ما ذهبت إليه أ. أسماء عبداوي لاعتبار العربية ونحوها يمتاز بهذا الشأن وهو العامل الذي قسمه النحاة الأوائل إلى عامل لفظي وآخر معنوي – وإن اختلفت فيه الآراء والوجهات في الدراسة والبحث سواء عند القدماء أمثال ابن مضاء القرطبي وقطرب أو عند الوصفين المحدثين من اللسانيين العرب – يؤكد أنّ العربية لها هذه الميزة في تركيب الكلام والكلمات فلا يمكن على سبيل المثال أن ينصب اسم أو يرفع من غير أثر إعرابي يخلفه عامل ما، كما أنّ هذا الأثر يحدّد دلالة المعنى المراد إيصاله من طرف المتكلم نحو المخاطب، فعلاّات الإعراب في العربية ترجع للعامل اللفظي والعامل المعنوي كالابتداء وتجرد الفعل المضارع من الجازم والناصب وغيره " وعلى هذا تبدو أهمية العامل باعتباره العنصر الأساس المكون للجملة العربية، وباعتباره سببا للحركة الإعرابية من جهة أخرى " (أسماء، 2017، ص62).

ب. القياس العقلي:

قد تناول النحاة الأوائل مفهوم القياس وألفوا فيه كتباً سموها "بأصول النحو" المتضمنة للقياس والسماع والاجتهاد واستصحاب الحال وغيرها، وقد كانت كل هذه المؤلفات تعرف بالنحو وكيف بني على هذه الأصول في استنباط القواعد والأحكام النحوية، وكان من هذه الأصول القياس النحوي الذي يتألف من مقيس ومقيس عليه وعلة وحكم، وأوضح النحاة الأوائل في تعريفاتهم للقياس بأنه " حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع" (الأنباري، 1377هـ، 1957م، ص93)، ويقصد بهذا التعريف القياس العقلي القائم على التأويل والاستنباط لعله الحكم الجامعة بين المقيس والمقيس عليه، أما

تعريفهم للقياس اللغوي فهو " حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه" (الأنباري، 1377هـ، 1957م، ص45)، وقد أخذ المحدثون المعاصرون من العرب بالقياس اللغوي فقط، حيث نفوا القياس العقلي ولم يأخذوا به في دراسة النحو، ويعرف القياس اللغوي عندهم؛ أي المحدثون من اللسانيين العرب بأنه " حمل مجهول على معلوم، وحمل ما لم يسمع على ما سمع، وحمل ما يجد من تعبير على ما اختزنه الذاكرة، وحفظته و وعته من تعبيرات وأساليب كانت قد عرفت أو سمعت" (المخزومي، 1406هـ، 1986م، ص20)، و يصرح د. مهدي المخزومي أنّ النحاة الأوائل قد غلوا في دراستهم للقياس وما بنوه من تعليل ورأى أنه من الجدل الفلسفي والحشو النحوي، إذ نجده يقول: "...ومن هنا أسهموا في الكلام عن العلل، زعما منهم أن العرب كانوا يبنون عليها أحكام لغتهم، وغلوا في ذلك غلوا جعلهم يبعدون في فلسفة القياس وأنواعه النظرية، وحشوا كلامهم في اللغة والنحو بضروب من البحث الفلسفي، ودخلوا في جدل طويل انتهى بالدرس النحوي إلى أن يكون في الموضوع الذي وضعوه فيه" (المخزومي، 1406هـ، 1986م، ص22)، ويرى د. حلمي خليل أنّ د. تمام حسان في كتابه " اللغة بين المعيارية والوصفية" يعتبر أنّ القياس النحوي عند النحاة هو قياس معياري وهو أثر من آثار الاستعمال اللغوي حيث يقول: " أما القياس أو الصوغ القياسي Analogie Creation كما يسميه فهو اثر من آثار الاستعمال اللغوي، وهو نشاط يقوم به المتكلم أو المجامع اللغوية لسد حاجة اللغة من المفردات الجديدة، وهي عملية معيارية... ولا يختلف الصوغ القياسي في المفردات عن القياس النحوي بل يرى أن القياس النحوي أكثر معيارية منه..." (خليل، 1996م، ص185)، وسبب اعتبار د. تمام حسان للقياس النحوي أنّه معياري هو تبنيه المنهج الوصفي حيث "... نعت الدراسات اللغوية القديمة بالمعيارية Perspective في مواجهة المنهج الذي يتبناه ويدعو إليه، وهو الوصفية Descriptive" (دراج، 1424هـ، 2003م، ص145)، كما نجد أنّ بعضا من الباحثين يحملون النحاة الأوائل - لكثرة اعتمادهم على القياس - مشكل إغراق اللغة به وإلحاق المضرة بها حيث " يحمل عدد من الباحثين المحدثين؛ ومنهم: الدكتور/ عبد الجبار النائلة النحاة البصريين بشكل خاص مسؤولية هذا الأمر؛ مقررًا أن الإغراق في القياس، والقياس على ما لم يسمع، والإفراط في طلب العلة القياسية، هي المضرة باللغة؛ وهي مسؤولية كبير عن تخطئة كثير من الأساليب الفصيحة أو إهمالها.

كما أنها مسؤولة عن اللجوء إلى التقدير، والتأويل؛ مؤكداً في الوقت نفسه أن النحاة في منهجهم لم يلتزموا بالترتيب الطبيعي الذي يقتضيه البحث العلمي من حيث: النظر، والملاحظة، والملاحظة... ولكنهم أسرفوا في تطبيق المنهج الفلسفي المنطقي الذي يهتم بتقسيمات منطقية نظرية لها كثير من الفروع" (الغفيلي، 1434هـ، 2013م، ص154، 155).

ويرى د. منصور بن عبد العزيز الغفيلي في رده على الباحثين المحدثين الذين اعتمدوا المنهج الوصفي في نقدهم للقياس وما تعلق به، ومبدئاً رأيه تجاههم في تناولهم للمنهج الوصفي في دراسة النحو ونقده بأنه " هو ما جعلهم يحكمون على صنيع النحاة بأنه يجافي الروح العلمية في البحث اللغوي... ولكن أيا كانت الآراء حول القياس وسليبياته، فقد كان وسيلة مهمة جداً من وسائل إغناء اللغة، وإثرائها..." (الغفيلي، 1434هـ، 2013م، ص158).

ج. الجملة العربية:

وقد وجه كثير من الوصفين نقدهم كذلك إلى الجملة وكيف درست عند النحاة وكيف قسموها إلى جمل لها محل من الإعراب وجمل ليس لها محل من الإعراب، وهذا ما تحدث عنه د. مهدي المخزومي لما استهل حديثه عن الجملة عند ابن هشام وكيف قسمها إذ رأى " في هذا التقسيم والدراسة تضمنها فكرة العامل مرجعاً السبب في أنّ ابن هشام لم يتناول الجملة من حيث وظيفتها اللغوية ولا من حيث علاقتها اللغوية بما قبلها ولا بعدها، وأنّ فكرة العامل سيطرت على عقول النحاة في هذا التقسيم ومنهم ابن هشام، وكما قدم رؤيته في دراسة الجملة وتقسيمها على أن تدرس من حيث تضمنها لوظيفتين الأولى وظيفة عامة تشترك فيها كل الجمل والتي تمثل نقل ما في ذهن المتكلم إلى السامع، والثانية وظيفة خاصة تتعلق بالجمل التي لها محل من الإعراب حيث تستعمل مسنداً أو نعتاً أو حالاً" (المخزومي، 1406هـ، 1986م، 61)، ويؤكد د. مهدي مخزومي على ضرورة أن يتشبث الدارس بهذه الاعتبارات لأنها من صميم الهدف اللغوي إذ يقول: " يمثل هذه الاعتبارات اللغوية يجب أن يتشبث الدارس، وأن يجعلها محور دراسته، أما أن هذه

الجملة في محل رفع أو في محل نصب أو في محل جر أو في محل جزم، فهو أبعد ما يكون عن الهدف اللغوي الذي من أجل الوصول إليه تألفت الجملة" (المخزومي، 1406هـ، 1986م، ص 62).

ومن خلال ما تطرقنا إليه من قضايا تمثلت في فكرة العامل والقياس وعلامات الإعراب والجملة، فإنه يتجلى لنا أن اللسانيين العرب الوصفين كانوا يركزون في دراستهم لقضايا النحو والعربية على تخلص النحو من الصعوبات والمشاكل التي بحسبهم تعد سببا في ضيق النحو وتعقده عند المتعلم أو الدارس له، ومع هذه الدعوات لتيسيره وتحديدته وإعادة تناوله من منظور لساني حديث، فإننا نجد أنّ هذه الدعوات تمثلت بعدة مصطلحات بحسب كل باحث ووجهته ورؤيته لدراسة النحو العربي وهذه المصطلحات هي "...الإحياء والإصلاح والتبسيط والتجديد والتيسير بالإضافة إلى مفاهيم أخرى كالتسهيل والتحديث والتحرير والتطوير والتقريب والتهذيب..." الخ (الطيب، 2018، 2019م، ص 161).

4. مصطلحات المحدثين في دعوات تيسير النحو العربي:

قد تعددت مصطلحاتهم في طرق تيسير النحو العربي وتحديدته من باحث إلى آخر، حيث بعضها يوحي بأن أصحابها كانوا يعتمدون في تقديم للنحو العربي على نظريات القدامى منهم كابن مضاء القرطبي، في حين كان اللسانيون العرب الوصفين يحللون هذه القضايا من منظور لساني حديث، بينما اعتمد الفريق الآخر مناهج اللسانيات ونظرياتها في نقد النحو ودراسته قصد تجديده وتيسيره وتحليصه من التعقيدات والتبويبات والتقسيمات التي جاء بها النحاة الأوائل، ومن هذه المصطلحات ما يلي:

1- الإحياء: وهو مصطلح استعمله إبراهيم مصطفى في مؤلفه "إحياء النحو"، حيث ارتبط هذا بنظرية إلغاء العامل وأيضاً بحذف بعض الأبواب النحوية وبالحركة الإعرابية،

2- الإصلاح: ويقصد به تخلص النحو مما لحقه من فساد وتراكمت ومسائل معقدة، ومن المؤلفات التي استعملت لفظة الإصلاح نجد كتاب "في إصلاح النحو العربي" للدكتور عبد الوارث مبروك، وأيضاً "إصلاح النحو" للدكتور يعقوب عبد النبي.

3-التبسيط: ويقصد به إخراج النحو بطريقة سهلة وبسيطة يعرفها ويستسيغها المتعلم بحيث تكون قواعده ومسميات أبوابه ومصطلحاته بصورة غير التي عند النحاة الأوائل.

4-التجديد: ويقصد به إعادة تصنيف النحو وتبويبه تبويبا حديثا باعتماد المناهج اللسانية الحديثة، كما هو عند الدكتور تمام حسان في كتابه " اللغة بين المعيارية و الوصفية " و كتاب الدكتور شوقي ضيف " تجديد النحو"، وكان هدف هؤلاء هو إلغاء نظرية العامل وكثير من المفاهيم النحوية الواردة في كتب النحاة الأوائل.

5-التيسير: وهو عند اللسانيين العرب المحدثين تقديم المادة النحوية بأسلوب سهل وميسر، وتبسيط قواعده وقوانينه على متعلمي العربية ونحوها"(الطيب، 2019، 2018، 161-165).

5. نماذج من نقد(د. حلمي خليل، ومنصور بن عبد العزيز الغفيلي) لبعض من مؤلفات دعاة تيسير النحو:

ومع هذه المحاولات والدعوات لتيسير وتجديد النحو العربي وإصلاحه، إلا أنها لم تلق موافقة من لسانيين وباحثين عرب، إذ رأوا أنها لم تخرج في دراستها وتحليلها وحتى في استعمالها المصطلحي الجديد عما وجد في التراث اللغوي العربي القديم، وإن كان هناك تغيير في التسميات أو التقسيمات، ومن الكتب المعاصرة التي ألفت في هذا الجانب كتاب"مآخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها النظرية والتطبيقية" ل: منصور بن عبد العزيز الغفيلي الذي وضع فيه أهم ما نقده الباحثون المحدثون العرب للنحو العربي وما قدموه من مآخذ على النحاة الأوائل، في حين نجده يميل إلى التراث في بعض الأمور التي يراها هي الأهم في النحو العربي، وكذلك في رده على هذه المآخذ التي قدمها اللسانيون العرب المحدثون حول النحو العربي ومسائله، وكذلك ما قدمه د. حلمي خليل في كتابه " العربية وعلم اللغة البنيوي" في دراسته للرواد الأوائل في الدرس اللساني العربي وما قدمه من تحليل وشرح وتفصيل لأهم المؤلفات والكتب في هذا الجانب، ومما قدمه من رؤى نقدية حول محاولات بعض اللسانيين العرب في دراستهم للغة العربية والنحو العربي ما تمثل

في كتابي كل من " عبد الرحمن أيوب (دراسات في نقد النحو العربي)، وتام حسان في كتابه (اللغة بين الوصفية والمعارية).

إذ يرى د. حلمي خليل لمحاولة د. عبد الرحمن أيوب في كتابه " دراسات نقدية في النحو العربي" وما قدمه من نقد للنحو العربي وفق المنهج الشكلي وما استند عليه من معايير سوى محاولة مخوفة بالمخاطر، وخاصة نقده للنحو باعتباره يقوم على المنطق العقلي، وبأن تشومسكي في حد ذاته قد اعتمد المنطق العقلي والنفسي في نظريته النحو التوليدي وهذا ما يؤكده بقوله: "...غير أن تطور الفكر اللغوي الحديث والمعاصر، أثبت أن بعض المعايير التي استند إليها دكتور أيوب في نقده للنحو العربي لا تعد مأخذ حقيقية خاصة فيما يتصل بالعنصر المنطقي في هذا النحو، فنظرية تشومسكي تقوم على أصول منطقية وعقلية ونفسية ومن ثم، فإن أي محاولة لنقد الفكر اللغوي العربي، دون اكتشاف نظريته الأصلية، هي محاولة مخوفة بالمخاطر، بل هي من قبيل المغامرة التي تنتظر حكم التاريخ" (خليل، 1996م، ص178)، فهنا -حسب اعتقادي- كأنما يشير الدكتور حلمي خليل إلى إبطال "فكرة تأثير النحو بالمنطق والفلسفة" وخاصة ما وجد فيه من مفاهيم تحتاج إلى إعمال عقل وفكر مثل العامل والعلة والقياس وأقسام الجملة العربية وغيرها من القضايا النحوية التي تعرض لها الباحثون اللسانيون العرب المحدثون، ثم يضيف الدكتور حلمي خليل رؤيته لكتاب عبد الرحمن أيوب وما قدمه من دراسة للنحو العربي معتبرا "إياه إضافة وتقديم أفاد به الفكر النحوي العربي واللغوي بتقديم نظرية لغوية مضبوطة وإن لم تشرح شرحا كاملا، ولم تصل إلى نتائج تطبيقية، بل رأى بأن الدكتور عبد الرحمن أيوب اكتفى بالنقد مبقيا على نفس الأبواب النحوية التقليدية دون تقديم بديل لها" (خليل، 1996م، ص180)، ومن خلال كتابه الذي قدمه لنقد النحو العربي فقد صنفه الدكتور حلمي خليل بأنه " يقترب من أعمال أصحاب دعوات التيسير والإصلاح، لولا استناده لنظرية لغوية حديثة..." (خليل، 1996م، ص180)، وأما ما تعلق بنقده لفكرة المعيارية التي تكلم عنها الدكتور تمام حسان في كتابه " اللغة بين المعيارية و الوصفية " حين جعل النحو العربي معياريا ومفتقرا للمنهج الوصفي، كما قسم النحو العربي إلى مرحلتين -بحسب الدكتور تمام حسان- "أحدهما كانت تطبق الوصفية والأخرى كانت تتشبه بالمعيارية، ويرى أن العصر الفاصل بين هاتين المرحلتين ينتهي إلى

عصر الاستشهاد" (خليل، 1996م، ص182)، غير أنّ الدكتور حلمي خليل وبعد قراءته لهذا الكتاب وتبعه وما حواه من نقد للنحو العربي يرى بأنّ ما قدّمه الدكتور تمام حسان من حكم على النحو العربي بأنّه معياري خالص وأنّ أيّ تعليل أو تفسير للظواهر اللغوية يعد بحثاً فلسفياً وليس لغوياً وصفياً، بخلاف الوصفية التي تدرس اللغة دون تفسير أو تعليل، بل عكس ذلك كله إذ يقول: "لم يكن إذن التفكير النحوي العربي تفكيراً معيارياً خالصاً كما لم يكن أيضاً وصفاً تقريرياً محضاً لا يفسر ولا يعلل مثل الوصفية التي دعا إليها د. تمام حسان حتى استقر في أذهان بعض الباحثين أن علم اللغة الوصفي إذا ما تطرق إلى التفسير أو التعليل للظواهر اللغوية تخلى عن علميته ودخل في نطاق البحث الفلسفي الميتافيزيقي وهذا ليس صحيحاً" (خليل، 1996م، ص189).

وأما ما تعلق بدراسة الدكتور مهدي المخزومي للنحو العربي ونقده لبعض مسائله باستناده كذلك للمنهج الوصفي وبحكم اطلاعه على النظريات الغربية الحديثة، وقد كانت دراسته للنحو العربي تشكل تأثيراً واضحاً بما قام به الدكتور إبراهيم مصطفى، حيث ضم كتابه "في النحو العربي نقد وتوجيه" الجانب النظري للنحو قصد إصلاحه وتيسيره، ويرى الدكتور منصور بن عبد العزيز الغفيلي "أنّ كتابه الثاني (في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) يمثل الجانب التطبيقي في هذه المحاولة" (الغفيلي، 1434هـ، 2013م، ص343)، ورغم ما في الكتاب من تطبيق لمبادئ الوصفية الحديثة ومنهجها إلا أنّ د. منصور بن عبد العزيز الغفيلي يرى بأنه "لم ينفصم عن التراث اللغوي العربي، بل استفاد من الدراسات اللغوية القديمة بشكل كبير - وبخاصة النحو الكوفي - في محاولته هذه، ما جعل عدداً من الباحثين يرون بأن سمات المنهج الوصفي غير واضحة عنده... إنما هو أصداء لأفكار المنهج الوصفي الذي لم يطلع عليه من مصادره، ولا يحيل في تحصيلها على مصادر محددة؛ وإنما قال بما أهل عصره وسرت مع قلمه" (الغفيلي، 1434هـ، 2013م، ص343)، وأما محاولة الدكتور شوقي ضيف في تجديد وإصلاح النحو فإنّ الدكتور حلمي خليل يرى بأنّها تدخل في محاولات "التيسير والإصلاح التي كان يدعو إليها د. شوقي ضيف ورؤيته للنحو العربي أنه في حاجة إلى تصنيف جديد وبناء على نظرية ابن مضاء الرافضة للعامل والتأويل والتقدير، غير متبع دعوى تطبيق المنهج العلمي الحديث في دراسة

اللغة، بل حدد عمله في إطار النظرية النحوية التقليدية" (خليل، 1996م، ص80)، ورغم ما حوى الكتاب من عنوان وهو " تجديد النحو العربي " إلا أنّ د. حلمي خليل يرى " أنّ المصطلحات التي وضعها والتقسيمات نفسها التي كانت عند البصريين من النحاة الأوائل باستثناء بعض التعديلات التي دمج فيها بعضاً من أبواب النحو، ومع هذا لا يوجد أي أثر لمفهوم التجديد عند د. شوقي ضيف من خلال مؤلفه أو منهجاً يخالف فيه القدماء، وأنّ مصطلحات التجديد والتيسير والإصلاح هي مصطلحات أطلقت منذ القرن التاسع عشر آنذاك ، وإنما يقصد بها - بحسب رأي د. حلمي خليل - أمران هما: الأول يتعلق بالجانب النظري ويعني إعادة في النحو العربي ووصفه دون بقية المستويات الأخرى، أما الجانب الثاني يتعلق بالناحية العملية والتي تهدف عندهم إلى تصنيف قواعد النحو العربي في إطار ما قدمه النحاة الأوائل بنفس المصطلحات والتقسيمات" (خليل، 1996م، ص83).

وعند تأملنا في هذا النقد الذي طال محاولات اللسانيين المحدثين في دراستهم للنحو العربي القديم ودعوتهم لتيسيره وإصلاحه وتجديده، نجد أنّها استندت على مقولات القدماء من النحويين الأوائل وأنها - وإن حاولت تقديم النحو بصورة جديدة وفق المنهج العلمي اللساني الحديث القائم على الوصفية - بقيت تسير في ظل ما قدمه الأوائل من النحاة من مفاهيم وتقسيمات ومصطلحات للنحو وأبوابه ومسائله، ورغم ما كان يدعو إليه هؤلاء اللسانيون العرب المحدثون من إصلاح وتيسير للنحو العربي إلا أنّ جهودهم " ...انصبّت على الجانب التعليمي العملي دون الجانب المنهجي النظري، فلم يفكر واحد منهم في استبدال النموذج القديم بنموذج جديد يقوم على استقراء جديد اللغة العربية المعاصرة مثلاً" (خليل، 1996م، ص83)، و أعتقد أنّ هؤلاء اللسانيون المحدثون العرب قد أصابوا في جوانب وغفلوا عن جوانب أخرى في النحو العربي والتي تشكل في أساسها مظهرها من مظاهر المنهج الوصفي الحديث، ف" الباحث المطلع على قواعد النحو العربي يجد أن قواعد النحو وأحكامه من تقدير أو تأويل أو تعليل، كانت تتماشى وفق استخدام العرب المطرد في أغلب القضايا النحوية، وأن فكرة القياس النحوي عندهم لمي من صلب المنهج الوصفي، وأنّ قولهم بتأثر النحو بالمنطق والفلسفة يؤكد ما وجد في النظرية التوليدية عند تشومسكي القائمة على المنطق العقلي" (دفة، 2006م، ص72).

6. خاتمة:

ومن خلال ما قدمته حول موقف نقد النحو العربي وتيسيره باختصار نظرا لتشعب البحث فيه وتعدد المؤلفات والكتابات اللسانية العربية التي تطرقت للنحو ونقده باعتماد المنهج الوصفي، يتبين أنّ الدرس اللساني الغربي الحديث كان له الأثر الجلي في الدرس اللساني العربي وخاصة في تناول قضايا اللغة العربية ونحوها، وأنّ الباحثين واللّسانيين العرب قد انقسموا في رؤيتهم لهذا الوافد الجديد إلى ثلاثة مواقف كلّ حسب رؤيته وخلفيته، كما أنّ موقف نقد النحو العربي كان صورة واضحة لهذا التأثير بالمنهج والنظريات اللسانية الحديثة وخاصة اعتمادهم على الوصفية، وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- 1/ قد كان لظهور اللسانيات الحديثة ومناهجها أثر واضح عند اللسانيين العرب المحدثين ممّن أخذوا بنظرياتهم ومناهجها الحديثة، والتي انعكست من خلال مؤلفاتهم وتناولهم للقضايا اللغوية العربية.
- 2/ كان موقف اللسانيين العرب المحدثين من التراث قائم على ثلاثة مواقف، الأول درس التراث وقدم نقده فيه باستنادهم للمناهج اللسانية الحديثة وخاصة المنهج الوصفي، والثاني مشيد بما في التراث من نظريات نحوية قديمة ويرى بتفوقها على اللسانيات الحديثة، بينما الموقف الثالث فهو يرى التوفيق بين تصورات القدماء من النحاة واللغويين وبين ما جاءت به اللسانيات من نظريات ومناهج حديثة.
- 3/ قد كان نقد الوصفيين العرب المحدثين للنحو العربي شامل في منهجه وقضاياه ومسائله، باعتباره يشكل صعوبة وتعقيدا، كما رأوا تأثير النحو العربي بالمنطق والفلسفة ممّا دعاهم لإلغاء نظرية العامل والتأويل والقياس والتعليل وغيرها من المسائل التي أعادوا فيها النظر قصد التيسير والتجديد وما قدموه من بدائل مكانها.

4/ تتميز دعوات تيسير النحو والإصلاح بتعدد المصطلحات فيه من تيسير وتبسيط وإصلاح وتحديد وكلها لها هدف وغاية واحدة وهي اعتماد المنهج الوصفي الحديث في دراسة النحو العربي واستبدال ما فيه من مسائل ببدائل ثلاث ما توصل إليه العلم الحديث وفق منظور لساني معاصر.

5/ رغم ما قدمه هؤلاء من محاولات ودراسات للنحو العربي إلا أنهم تلقوا نقدا من بعض اللسانيين والباحثين العرب إما على مستوى تطبيقهم للمنهج اللساني الوصفي أو على مستوى المصطلحات والتبويات وما رفضوه من مسائل كالعامل وغيره، حيث أنهم لم يخرجوا عما كان عند النحاة الأوائل من مفاهيم ومصطلحات.

7. قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

- إبراهيم أنيس. (1966). من أسرار اللغة. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (ط 3).
- إبراهيم مصطفى. (د ت). إحياء النحو مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (د ط).
- أبو البركات ابن الأنباري. (1377هـ، 1957م). الإعراب في جمل الإعراب، تح: سعيد الأفغاني مطبعة الجامعة السورية. (د ط).
- تمام حسان. (1994). اللغة العربية معناها ومبناها دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب. (د ط).
- حلمي خليل. (1996م). العربية وعلم اللغة البنيوي. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. د ط.
- دراج أحمد عبد العزيز. (1424هـ، 2003م). الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية (د ط). مكتبة الرشد. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- عبد الرحمن أيوب. (د ت). دراسات نقدية في النحو العربي (المجلد د ط). مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع.
- الغفيلي منصور بن عبد العزيز. (1434هـ، 2013م). ما أخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها النظرية والتطبيقية. مطبوعات نادي القصيم الأدبي. القصيم. الرياض. السعودية، (ط 1).
- غلفان، مصطفى. (1998). اللسانيات العربية الحديثة. دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية. جامعة الحسن الثاني. عين الشق. الدار البيضاء. المغرب.
- مُجد مُجد داود. (2001). العربية وعلم اللغة الحديث دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. (د ط).
- المخزومي مهدي. (1406هـ، 1986م). في النحو العربي نقد وتوجيه. دار الرائد العربي. بيروت. لبنان. (ط 2).

الأطروحات:

البسامي حسين بن علي بن سيف. (1439هـ، 2018م). موقف المحدثين من حركة تيسير النحو العربي (وصف وتحليل)، رسالة ماجستير. قسم اللغة العربية وآدابها. كلية العلوم والآداب. جامعة نزوى. سلطنة عمان.

زارب الطيب. (2018، 2019م). تيسير النحو العربي بين القدامى والمحدثين، دراسة وصفية مقارنة - ابن مضاء وعباس حسن أنموذجين - رسالة دكتوراه. قسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب واللغات والفنون. جامعة جيلالي لباس سيدي بلعباس. الجزائر.

معزوز عبد الحليم. (1437هـ - 1438هـ / 2016م، 2017م). تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمان الحاج صالح: دراسة إستمولوجية في المرجعية والمنهج، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة 1، الجزائر.

المقالات:

حب الدين إسلام. بن قليل حليم. (جانفي، 2021). المنهجية الفعالة في التعامل مع التراث اللغوي العربي والوافد اللساني الغربي في ظل الكتابة اللسانية التمهيدية. مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية. المجلد 4 / العدد 7. الصفحات؛

دفة بلقاسم. (مارس، 2006م). النحو العربي بين التقليد والمناهج اللسانية الحديثة. مجلة الآداب واللغات. العدد الخامس. الصفحات؛

صادق فوزي دباس. (2008). جهود علماء العربية في تيسير النحو وتحديدده. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية. المجلد (7). العدد (1، 2). الصفحات؛

عبداوي أسماء. (01 جوان، 2017). تيسير النحو العربي في ضوء الاتجاه اللساني الوصفي - دراسة وتقييم. - مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب. المجلد 01، العدد 01. الصفحات؛

غلفان، مصطفى. (2020). جدلية العلم وتاريخه، اللسانيات والتراث اللغوي العربي نموذجاً. مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية. الصفحات؛

